المحاضرة 3

ثانوية "ابن رشد بالبليدة " محطة لقادة بارزين في الثورة الجز ائرية

مقدمة :

اعتبرت مدينة البليدة عبر التاريخ مجالا يسع الانسان الجزائري بكل أطيافه، فقد كانت ملاذا للشباب من مناطق مختلفة يأتونها بغية الحصول على شغل خاصة في مجال الزراعة، وهذا ما نجده منذ فترة تأسيس المدينة إلى غاية فترة الاحتلال.

لقد كانت البليدة مقصد العاطلين عن العمل من المداشر والقرى، كما كانت مركزا لطلب العلم خصوصا في فترة الاحتلال لاحتوائها على ثانوية "دو فيريي" – ابن رشد حاليا- وهي من بين أكبر وأعرق الثانويات الاستعمارية، والتي كانت وجهة العديد من التلاميذ الجزائريين الذين كان لهم حظ مواصلة دراستهم.

سنحاول من خلال هذه الورقة استحضار المسار الدراسي لعدد من أبرز قادة الثورة التحريرية الذين كانت لهم لمسة خاصة في هذه الثانوية وبقيت لهم ابان تفجير الثورة الجزائرية فضلا عن تكوينهم ضمن الحركة الوطنية، هذه اللمسة تأتي بشهادة طاقمها الإداري والتربوي من مدراء ومدرسين ومساعدين تربويين.

1- ثانوية دو فيريي: " ابن رشد"

سميت هذه الثانوية تخليدا للمستكشف والجغرافي "الذي اختص في استكشاف الصحراء الجزائرية " هنري دو فيريي" Henri Duveyrierوهو المولود في سنة 1840 وكانت وفاته سنة 1892، سافر نحو الجزائر سنة 1859 وقام خلال ذلك في برحلة استكشافية وصل خلالها إلى الأغواط وغرداية تقورت والتاسيلي، وكان أنموذجا للمستكشفين الذين اهتموا بالصحراء الجزائرية أمثال " فوكو" Foucaudو" دورنو دوبري" -Dournaux Duperé" وفلاترز" Flatters وغيرهم، وقد تحصل على ميدالية ذهبية على إثر جهوده من

المؤسسة الجغرافية الفرنسية سنة 1864. ركز – وباهتمام- على تعلم اللغة العربية واتقانها.

كما صدرت له عدة مؤلفات منها:

-Les Touareg du nord

-Sahara Algérien et Tunisien journal de route

الدراسة في ثانوية البليدة بالنسبة للجز ائريين:

استقطبت ثانوية البليدة الكثير من التلاميذ الجزائريين وذلك لأسباب عدة ولعل أبرزها سمعة هذه الثانوية بالنسبة للأهالي الجزائريين من حيث توفرها على شروط تلائم الأهالي من حيث كونها منطقة محافظة بالمقارنة مع الجزائر العاصمة حيث كانت البليدة تشتهر بنوع من الانغلاق والمحافظة، وليس من السهل أن تؤثر عليها عوامل الحضارة الأوربية مقارنة بالجزائر العاصمة، كما يأتي موقعها الجغرافي كعامل مساعد يوفر شروط تسهيل طلب العلم.

وكانت ثانوية "دو فيري" تتمتع بسمعة جيدة ومعروفة بالجد والفاعلية، والصرامة بحيث تضمن شروط التعليم الجيد، وهي شبيهة بالمؤسسات الفرنسية من الدرجة الثانية، حتى أنها في تصميمها وفي واجهتها تشبه ثانوية باريس " لويس الكبير" Louis Le Grand، وكانت هذه الثانوية تحظى بسمعة جيدة على المستوى المحلي بالبليدة وخارجها، وكانت مدينة البليدة يسكنها عشرات الآلاف من السكان، تعرف بالمطقة الحضرية العصرية.

2- قادة صنعوا الحدث بثانوية البليدة:

لاشك أن ما زاد من قيمة ثانوية البليدة - بالنسبة لنا- هو احتضانها لقادة بارزين في الثورة التحريرية تركوا أثرا في هذه الثانوية وفي عموم المدينة وعبر تاريخ الجزائر، ومن بين اشهر هؤلاء نذكر أربعة نماذج من القادة ذوي التأثير وهم:

- **أولا: سعد دحلب:**

أ- مولده وتكوينه:

كان مولد هذه الشخصية عام 1919 بقصر الشلالة (التابعة لتيارت) بدأ مشواره الدراسي بمسقط رأسه، ثم انتقل في السنة الدراسية 1934- 1935 إلى مدينة المدية لمواصلة تعليمه الاكمالي وعمره لم يتجاوز 15 عاما، وكان في هذه المرحلة يطلع على جريدتي "الأمة" لسان حال نجم شمال افريقيا، وجريدة "الأمة العربية" التي كان يصدرها شكيب ارسلان، ثم التحق بثانوية البليدة عام 1937.

ب - مو اقف لسعد دحلب بالثانوية:

انتقل سعد دحلب من مدينة المدية إلى البليدة لمتابعة دراسته هناك عام 1937، وفيه التقى بمناضلين بارزين ضمن الحركة الوطنية ومنهم، محمد الأمين دباغين وبن يوسف بن خدة وعبان رمضان. وقد سجل منذ عامه الأول بالثانوية موقفا تاريخيا حين كتب مقاله بجريدة الأمة حمل عنوان: " أنتم الخناجر"، وقد طرد من الثانوية بسبب ما ضبط لديه "نسخة من جريدة الأمة " [1] ولم يعد إلى الدراسة إلا بعد مساعي حثيثة من قبل والده. وخلال امتحانات شهادة البكالوريا - الجزء الثاني - طرح في مادة الفلسفة موضوع " الاستعمار من الناحية الأخلاقية" وقد استغل سعد دحلب الفرصة ليدين الظاهرة الاستعمارية مستعينا بأفكار فلاسفة الغرب أمثال " فيليسان شالي " وتحصل نتيجة ذلك على علامة ثلاثة من عشرة في امتحان البكالوريا، وعلق على هذه القضية قائلا: " إنّ بيني وبين الاستعمار مسألة شخصية "

ج- مساره النضالي:

يعتبر سعد دحلب وجه من الوجوه البارزة للحركة الوطنية الجزائرية، ناضل في صفوف حزب الشعب " P.P.A " ثم في الحركة من أجل الانتصار للحريات الديموقراطية " M.T.L.D" و كان من أبرز المعارضين لمواقف مصالي الحاج داخل الحركة. عاد بعد فشله في الجزء الثاني من شهادة البكالوريا سنة 1939-1940 الى مسقط رأسه بقصر الشلالة ليبدأ نضاله السياسي الوطني بشكل رسمي في حزب الشعب الذي انضم اليه سنة 1944، حيث أصبح كاتبا خاصا لمصالي الحاج برفقة زميله السابق في ثانوية البليدة " علي بومنجل".

---

[1] كانت تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع باللغة العربية ،صدر العدد الأول منها سنة 1933 ، توقفت عن الصدور سنة كاملة ، ثم عادت في 25سبتمبر 1934و استمرت الى غاية 7جوان 1938، صدر منها 170 عدد.

التحق سعد دحلب في صائفة 1955 بجبهة التحرير الوطني، ليتوجه بعد هذا الانضمام الى العمل السياسي ثم الدبلوماسي بفضل ثقافته الرفيعة ومستواه العلمي الراقي وتكوينه النضالي والسياسي، وقد ساهم في تأطير العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني.

د- المناصب التي تقلدها:

تقلد سعد دحلب عدّة مناصب قيادية، منها عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ في مؤتمر الصومام " أوت 1956" مكلف بالإعلام والتوجيه، وتقلد مناصبا في الحكومة الجزائرية المؤقتة، حيث عُين وزيرا للخارجية في ثالث حكومة مؤقتة للجمهورية برئاسة بن يوسف بن خلدة 1961-1962. وساهم بفاعلية في إدارة ملف المفاوضات. كما شغل منصب سفير للجزائر لدى المملكة المغربية بعد الاستقلال، غير أنه فضل الانسحاب من جميع الوظائف السياسية للتفرغ لشؤونه الخاصة ومنها إدارة دار النشر " دحلب"، توفي في 16 ديسمبر 2000 ودفن في مقبرة سيدي يحيى ببئر مراد رايس الى جوار رفيقه بن يوسف بن خدة.

- **ثانيا: بن يوسف بن خدة:**

أ- مولده وتكوينه:

ولد في 23 فيفري 1920 بمدينة البر واقية بالمدية، والده عبدالعزيز بن رشيد محي الدين بن خدة، كان يشتغل قاضيا، سمي باسم بن يوسف تبركا بالولي الصالح " سيدي احمد بن يوسف"، توفي والده وعمر إحدى عشر عاما، وتولى أخوه عبدالحليم رعايته درس في المدرسة القرآنية ثم التحق بثانوية " دو فيري" بالبليدة ليلتقي برفاقه في النضال والعمل الثوري أمثال سعد دحلب ومحمد يزيد وغيرهما، وقد عان كبقية الجزائريين من التمييز العنصري، حيث كان ناظر الثانوية يردد على مسامعهم " أنتم خناجر حادة ضد فرنسا"، وقد تحصل على شهادة البكالوريا عام 1943ليلتحق بكلية الطب بجامعة الجزائر, ولما أنهى دراسته استقر بالبليدة حيث اشتغل صيدليا، وأثناء وجوده بالجامعة أعاد اتصالاته بالأمين دباغين.

ب- مو اقف لبن يوسف بن خدة بالثانوية:

شارك بن يوسف بن خدة سنة 1942 مع مجموعة من المناضلين عددهم 12 فردا في حملة كبيرة للدعاية ضد التجنيد الاجباري، وكان هذا سببا في سجنه مع رفاقه لمدة 8 أشهر، وكان منهم أحمد مزغنة والأمين دباغين، و عرفت قضيتهم بـ "متمردو البليدة" و "الفارون من التجنيد".

ت- مساره النضالي:

بدأ نشاطه السياسي داخل الثانوية "دو فييري" بانضمامه إلى الشبيبة الجزائرية التي أسسها الأمين دباغين، وساهم بهذا في مرحلة حاسمة من الكفاح السياسي في صفوف حزب الشعب الجزائري. وقد عُين سنة 1946 ضمن هيئة تحرير جريدة "الأمة الجزائرية" رفقة عيسات ادير وعبدالمالك تمام تحت اشراف حسين لحول, ثم شارك في أول مؤتمر لحركة الانتصار والحريات الذي عقد بين 15-16 فيفري 1947، وأصبح عضوا باللجنة المركزية ثم أسندت له في نفس السنة مسؤولية جريدة "المغرب العربي"، كما أشرف على تحرير جريدة " الجزائر الحرة" عند صدورها عام 1949. ألقي عليه القبض سنة 1950 ليطلق سراحه في ماي 1954 ليلتحق مباشرة بجبهة التحرير الوطني حيث عمل مستشارا لعبان رمضان بالجزائر العاصمة، وفي أوت 1959 عينه المؤتمرون بالصومام عام 1956 عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ.

غادر الجزائر بعد استشهاد العربي بن مهيدي، وزار عّدة مناطق في العالم ين سنتي 1957- 1958بما فيها بعض الدول العربية و أمريكا اللاتينية والصين وانجلترا وغيرها.

ث- المناصب التي تقلدها:

ج- عين وزيرا للشؤون الاجتماعية في الحكومة المؤقتة لكنه لم يشارك فيهاثم عين رئيسا للحكومة المؤقتة في سبتمبر 1961 وتمكن من انهاء المفاوضات التي شرع فيها سلفه فرحات عباس .

بعد ازمة صائفة 1962 التي وقعت بين هيئة اركان الجيش والحكومة المؤقتة اثر بن خدة الانسحاب حقنا لدماء الجزائريين.و بعد مسيرة حافلة بالإنجازات والتضحيات انتقل بن يوسف بن خدة الى جوار ربه في 3فيفري2003 عن عمر ناهز 83سنة ليدفن بمقبرة

سيدي يحي ببئر مراد رايس الى جوار رفيقه في النضال سعد دحلب ،تاركا رصيدا معتبرا ومحترما من المؤلفات التي دون فيها شهاداته و مواقفه مما عاشه سنوات النضال في الحركة الوطنية وخلال الثورة التحريرية وهي:

-اتفاقيات ايفيان 1962.

-جذور اول نوفمبر 1954.

-ازمة الجزائر 1962.

ثالثا: عبان رمضان:

مولده وتكوينه:

هو ابن "محند" أوفرحات و "فاطمة مرادي" ، يعتبر الابن رمضان حالة خاصة ومميزة إذ أن الثراء النسبي لعائلته جعلت منه أحد المؤهلين لمواصلة الدراسة، شأنه في ذلك شأن بن يوسف بن خدة ومحمد يزيد وبومنجل وغيرهم، وكان مساره الدراسي متميزا بالتواصل وعدم الانقطاع من عام 1928 إلى عام 1941 وهو تاريخ حصوله على شهادة البكالوريا. و كانت مسيرته التعليمية ناجحة رغم الظروف التي عرفت بها الأسرة الجزائرية ،هذه الظروف التي تجعل التحاق أبنائها بالمدرسة حلما لا يدركه إلا القلة القليلة، وهذا ما أكدّه والي قسنطينة بقوله:" لقد رأيت تلاميذ صغار من الأهالي يذهبون نحو المدرسة دون أن يأكلوا شيئا لمدة 24 ساعة...كما شاهدت فقراء صغارا ثيابهم رثة بالية لم تكن حتى لتستر جسدهم ولا عرواتهم...".

ولد عبان رمضان في 10 جوان 1920 على الساعة الثانية زوالا ببيت تمّ ترتيبه حديثا، حيث شيّد في 1918 بعد زلزال ألحق أضرارا في بنايات المنطقة ، وترعرع وسط عائلة غنية، وقد كان رمضان هو الابن الثالث ضمن أربعة أبناء وهم " عمار" و[2] "عيني "و"رمضان "و"مولود". وكان والده تاجرا متنقلا هو واخوه، ويذكر أنهما تنقلا في عدة بلدان مثل إنجلترا وكندا واسبانيا والولايات المتحدة والبرازيل وأستراليا، وقد ذكر "محند عبان ""الأخ الأصغر

[2] عمار هو الوحيد الذي بقي حيا الى غاية 1985 وكان يقيم بقرية عزوزة وهذا حسب ما ذكره الكاتب خالفة معمري .

لرمضان" أنّ والده تنقل إلى أمريكا الشمالية مرتين على الأقل سنتي 1908 و1912 مما يعني اليسر الذي كان يرسم حياة العائلة.

استقر الإخوان "والد رمضان وعمه" سنة 1928 في فورنا سيونال " الأربعاء ناث إراثن" كتاجرين لمواد البناء، غير أن الحرب العالمية الثانية 1939-1945 غيّرت واقع العائلة المادي وكان والده قد تجاوز آنذاك سن الستين "60" [3] فلجأت العائلة على الهجرة.

تميّز عبان رمضان منذ نعومة أضافره بمزاج صعب، لكنه كان طفلا ذكيا ومجتهدا مثابرا، وكان منذ الصغر يبدي استعدادا متميزا لكتمان السر والعزلة والعناد، كما كان يصر على تغليب رأيه دون تمييز ومع الجميع بما في ذلك الابوين والإخوة وأقرب الناس إليه، لكنه كان فطنا نجيبا في مدرسته. لذلك كانت العائلة تعلق عليه الآمال الكبيرة والاحلام في الوصول إلى التميز، فكانت تحاول التغاضي عن عناده وحاصة الام.

أ- مساره الدراسي:

دخل رمضان مدرسة الأهالي بعزوزة بالقرب من فورناسيونال مابين 1926-1928 وتحصل على شهادة نهاية الدراسة الابتدائية وهو في سن 13 من عمره، وهو ما يعتبر إنجازا باهرا إذ أن قلة من التلاميذ من يتمكن من انهاء دراسته بتفوق

ب- عبان رمضان بالبليدة:

كانت العائلات القبائلية كباقي عائلات الأرياف تعيش عيشة صارمة ومتقشفة، وكان الأبناء يعاملون بصرامة وشدة، يراد من وراء ذلك دفعهم نحو النجاح والتفوق، وباعتبار ان أفضل تعليم كان يعطى لهم بعيدا عن التسلية واللهو والحياة العصرية لذا تمّ اختيار ثانوية البليدة لتكون دراسته هناك.

سجل عبان رمضان في ثانوية "دو فييري" في عمر مبكر، وكان دخول طفل مسلم من الأهالي إلى الثانوية يعتبر بمثابة الامر العظيم من جهة العائلة والأمر غريبا بالنسبة

[3] توفي والد عبان رمضان في فيفري 1979 عن عمر ناهز 103 سنة .

للمستوطنين وابناءهم ، وقد طلب والد عبان "محند" في رسالته الى مدير الثانوية بالبليدة المؤرخة في 25 سبتمبر 1933 تسجيل ابنه للدخول المدرسي المقرر للفاتح من أكتوبر 1933

تميز عبان رمضان على كثير من أقرانه حيث كان متفوقا كثيرا في المواد خاصة العلمية منها وهذا بشهادة مدرسيه، وكانت ملاحظات اساتذته تؤكد صفات الذكاء و الجد والاتقان والمثابرة، ومن امثلة الملاحظات المقدمة من قبل اساتذته نجد: " تلميذ مثابر في العمل ، ويعمل بجد واتقان" و" تلميذ مثابر وهادئ، ونتائجه جد مرضية" . وستعرف حياة عبان رمضان في البليدة انتقالا مزدوجا، من حياة منظمة بحكم وثيرة الريف من جهة وتربية الابوين الصارمة من جهة أخرى، وكانت سنة 1934-1935 جيدة بالنسبة لعبان رمضان. وقد أجمع أساتذته على أن الامر يتعلق " بتلميذ نجيب"، هذا بالنسبة للأستاذين "باتي" و "كولون"، وممتاز بالنسبة ل"غوتيي" و "حاج صدوق" وممتازة جدا بالنسبة للأستاذة "نيفر" ، ولذلك فاز عبان رمضان بعدة جوائز في السنة الأولى في الثانوية، حيث تحصل على الجائزة الثانية في الرياضيات واللغة العربية وجائزة في العلوم الطبيعية وجائزة ثانية في التاريخ والجغرافيا ونال الرتبة الثالثة فتحصل بذلك على الشهادة الشرفية. غير أن السنوات الأخيرة في الثانوية لم تكلل بنفس النجاح رغم أنه احتل المرتبة الأولى في الرياضيات في الفصل الثاني من السنة الثالثة ثانوي 1941-1942 مع التراجع في باقي المواد، ويبدوا أن تراجع نتائج عبان رمضان كان من أسبابه انشغال فكره بأمور أخرى، بحث أن أستاذ اللغة العربية كان دائما يلومه على تأخره وكان معيده مستاء من عدم انضباطه ويشكو "أنه كثير الجرأة" لكنه رغم ذلك تحصل على شهادة البكالوريا بتفوق في المواد العلمية. وبعد حصوله على شهادة البكالوريا من ثانوية البليدة أدرك صعوبة مواصلة دراسته العليا في ضل نظام الاستعماري القائم على التمييز بين الجزائريين والأوروبيين .

أ- مساره النضالي:

كان المسار التعليمي والثقافي لشخصية عبان رمضان أحد أهم الدعائم التي ساهمت في سقل شخصيته، مما جعله يتميز بسمات المناضل القوي والسياسي الحكيم، وهي المميزات

التي جعلت منه المهندس لمؤتمر الصومام 1956، هذا المؤتمر الذي كان محطة فارقة في مسيرة الكفاح التحرري للشعب الجزائري ، واعتبر عبان رمضان شخصية سياسية ثورية بامتياز، وقد إلتحق بقيادة الثورة عام 1955 ، وقد لعب دورا مهما في التعريف بالقضية الجزائرية لدى الأحرار والمثقفين الفرنسيين واستقطابهم لمساندة الثورة أمثال "روبارت بارت" و "بيار شولي" و"فرانسيس جانسون" وزوجته "كوليت"، و "جاك فارجاس"، و "فرانتز فانون" ، و" جون بول سارتر" .

شهدت مدينة تطوان المغربية سقوط عمود من أعمدة النضال وثورة التحرير ديسمبر 1957في ظروف لا تزال غامضة ،لكنها نتاج الصراع الذي حدث بين قادة الثورة فيما اصطلح عليه بالصراع حول أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج ، ويبقى أنّ الثورات عبر التاريخ عرفت مثل هذه الاحداث والتجاوزات وهي ضريبة تدفعها الشعوب في سبيل الانعتاق والتحرر.

- **رابعا: أ محمد اليزيد**

أ- مولده وتكوينه :

ولد محمد اليزيد في 1923 بالبليدة وتحصل على شهادة البكالوريا من ثانوية "دو وفيري" سافر الى باريس في 1945 حيث سجل في معهد اللغات وكلية الحقوق.

ب- نضاله:

ألتحق بصفوف الحركة الوطنية منذ صغره ، وأصبح أمينا مساعدا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا من 1946-1947 ثم رئيسا لها في ما بين 1947- 1948 وكان عضوا في اللجنة المركزية لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946، ألقي عليه القبض سنة 1948 بتهمة حمل مناشير ووثائق تحريضية للثورة ، وأطلق سراحه بعد سنتين قضاها في سجن بربروس. بعد خروجه من السجن عاد الى باريس وعاش في سرية تامة بلقب مستعار هو

"الزبير "ممثلا لقيادة حركة الانتصار وشارك في تحرير جريدة "l'Algérie libre" كما أعتبر من المركزيين المعارضين لمصالي الحاج .

ج -المناصب التي تقلدها:

تخصص أمحمد اليزيد في العمل الديبلوماسي، وكان ممثلا لجبهة التحرير في آسيا ونيويورك ،وعين عضوا في المجلس الوطني للثورة في مؤتمر الصومام أوت 1956، ثم عين وزيرا للإعلام في الحكومة المؤقتة الجزائرية في 1958-1962.

كما تقلد عدة مناصب في الدولة الجزائرية بعد الاستقلال منها ترأسه للمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة 1990-1992. وكانت وفاته في يوم 31 أكتوبر 2003 في سن 80 سنة.

الخاتمة:

لقد حظيت مدينة البليدة وإقليمها بالفعل بمكانة وقيمة تاريخية مهمة بفعل تراكم عدة عوامل بشرية سكانية وجغرافية واقتصادية زراعية، مما خولها أن تتبوأ الصدارة في الأحداث بالقطر الجزائري، ومن ذلك مساهمتها في دفع الاحتلال بفعل مقاومتها الشعبية ونشاط زعمائها في الحركة الوطنية والثورة التحريرية منذ البداية. يبدو دلك من خلال أنها كانت مناخا ملائما في تكوين قادة بارزين كان لهم الفضل في التنظير والتخطيط للثورة ومرافقة الشعب الجزائري للوصول إلى استرجاع السيادة والتخلص من الوجود الفرنسي. هؤلاء القادة الذين ترعرعوا في مدينتها وتعلموا في مدارسها وثانوياتها، وقد صقلهم المجتمع البليدي بفعل الاحتكاك به فارتفع حماسهم الوطني ونضج فكرهم الثوري ليصيروا فيما بعد قادة بارزين ومناضلين منافحين عن الأمة الجزائرية.

ولا شك أنّ هذه القيادات التي ترعرعت في مدينة البليدة قد تركت بصمتهم الشخصية والنضالية مما كون ر صيدا تاريخيا يعود على المدينة ومجتمعها بالفائدة في بناء شخصية المدينة، وهي الميزة التي يجب استثمارها من قبل القائمين على الشأن البليدي

بتكثيف القراءات والكتابات على هذه الشخصيات وغيرها التي سكنت البليدة وناضلت في أحيائها وضواحيها أمثال بومنجل وبن بلة وسويداني بوجمعة، ولابد ان تنشر مآثر هؤلاء الرجال لدى أبناء البليدة، وكل فئاتها بغية الاقتداء بها وإبقاء جذوة النضال لأجل البناء والتشييد والارتقاء بهذه المدينة المعطاءة وبباقي مدن الجزائر .